

مادة: مدارس التفسير

جمع وترتيب د.مهدي كهي

محتوى المادة: (وفق المفردات)

- ١- مقدمة
- ٢- مصطلحات ومقدمات في التفسير.
- ٣- نشأة علم التفسير وتطوره.
- ٤- التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
- ٥- التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم
- ٦- التفسير في عهد التابعين-رحمهم الله تعالى-
- ٧- التفسير بالمأثور
- ٨- بالتفسير بالمعقول
- ٩- مصادر التفسير وأسباب الاختلاف فيه
- ١٠- التفسير اللغوي.
- ١١- التفسير الإشاري (الصوفي).
- ١٢- التفسير الفقهي.
- ١٣- التفسير العلمي.

تعريف مناهج المفسرين اصطلاحاً

منهج المفسرين: هو العلم بنشأة علم التفسير ومراحل تطوره ، مع بيان أساليبه ، ومناهجه ، واتجاهاته، وكيفية الاستفادة منه في الفهم السليم للقرآن الكريم.

الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم للقرآن الكريم ، هذه الخطط الموضوعية لها قواعد وأسس منهجية مرسومة ، ولها طرق وأساليب وتطبيقات ظهرت في تفاسيرهم.

أهمية معرفة مناهج المفسرين:

معرفة مناهج المفسرين ضرورية للدارسين المتخصصين في الدراسات الإسلامية ، وضرورية للراغبين في العلم ، والحريصين على الثقافة الإسلامية.

فإن مدارس التفسير عديدة ، وتياراته واتجاهاته متنوعة ، منذ عهد الصحابة الكرام ، وحتى العصر الحاضر ، حيث ظهر مئات المفسرين ، وكتبت مئات التفاسير ، واختلفت مناهج المفسرين في فهم القرآن وتفسيره، فلا بد من معرفة اتجاهاتها ومدارسها ، والوقوف على مناهج أصحابها ، وحسن ترتيبها وتصنيفها، ومن اللازم على الدارس في (التفسير والمفسرين) معرفة المفسرين وتفاسيرهم ومناهجهم وطرائقهم معرفة مجملة : المفسر ونسبه ، وعصره وعلمه ، والتزامه ومنهجيته ، ونتاجه وجهوده ، وهدفه من التفسير ، ومنهجه فيه ، وتقويم ذلك التفسير ، ومعرفة ما فيه من خير وفائدة ، ومعرفة ما عليه من مأخذ .

فمناهج المفسرين تقدم للدارس القواعد والآداب والضوابط والتوجيهات التي لا بد منها في عالم التفسير ، كما تقدم له الأسس والأصول المنهجية الموضوعية التي لا بد منها في عالم التفسير ، وهي تحدث الدارس عن نشأة علم التفسير ، ومدارس واتجاهاته في التاريخ الإسلامي ، وتعرفه على أشهر التفاسير وأئمة المفسرين ، وتحدد له مناهجهم وطرائقهم في التفسير .

حتى يتعرف الدارس على قواعد منهج المفسر في تفسيره لا بد أن يقوم بما يلي :

الدراسة الفاحصة لمقدمة المفسر في تفسيره ، واستخراج القواعد المنهجية التي أشار إليها

المفسر ، وفهم تلك القواعد والأسس .

الدراسة الفاحصة للتفسير ، للوقوف على توضيح القواعد التي أشار لها المفسر في مقدمته

، والوقوف على قواعد أخرى ذكرها المفسر أثناء التفسير .

العلوم التي يحتاج إليها المفسر:

ذكر الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره عشرة علوم عدّها لازمة لكل مفسر هي:

١ — معرفة الألفاظ وهو علم اللغة. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب.

٢ — معرفة مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو علم الاشتقاق.

٣ — معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ من الأبنية والتصارييف والإعراب، وهو علم النحو.

٤ — ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة علم القراءات.

٥ — ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات وشرح الأقايص التي تنطوي عليها

السور من ذكر الأنبياء والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

٦ — معرفة ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم أو أسند إليه فيما يتعلق بالآيات والسور من

أسباب النزول أو التفسير والبيان لمعاني بعض الآيات، وهو علم الحديث.

٧ — معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمحمل

والمفسر، والقياسات الشرعية والمواضع التي يصح فيها القياس والتي لا يصح، وهو علم

أصول الفقه.

٨ — أحكام الدين وآدابه وآداب السياسات الثلاث: سياسة النفس والأقارب والرعية مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه وعلم الزهد.

٩ — معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية، والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونيات ونحو ذلك، وهو علم الكلام.

١٠ — علم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم.

ثم قال: فجملة العلوم التي هي كالألة للمفسر ولا تتم صناعته إلا بها هي هذه العشرة... فمن

مصطلحات التفسير:

القرآن الكريم:

هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. معنى التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير في اللغة: مأخوذ من الفسر، بمعنى: الإبانة، والكشف، وإظهار المعنى، يقال: فسر الشيء يفسر — بالكسر والضم — فسراً إذا أبانه وكشف غطاءه، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقيل: هو مقلوب من سفر، ومعناه أيضاً الكشف، يقال: أسفرت المرأة سفوراً: إذا ألفت خمارها عن وجهها.

التفسير اصطلاحاً: قال أبو حيان في البحر المحيط بأنه: (علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الفردية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك)، قال الزركشي: (علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد

صلى الله عليه وسلم بيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة اسباب التزول والناسخ والمنسوخ).

قال الزرقاني: (هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية).

معنى التأويل:

التأويل في اللغة: مأخوذ من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: آل إليه أولاً ومالاً بمعنى رجع.

وفي عرف الشرع: له معنيان:

الأول: يأتي بمعنى المجيء، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٢-٥٣]، فتأويله هنا بمعنى مجيئه.

والثاني: ويأتي بمعنى التفسير، وهو ما يعنيه ابن جرير الطبري حين يقول في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا".

الفرق بين التفسير والتأويل:

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافًا نتجت عنه أقوال كثيرة لا طائل من ذكرها، والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية؛ وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم أو بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

أمّا التّأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل والترجيح على الاجتهاد ويتوصّل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربيّة، واستنباط المعاني من كلّ ذلك.

وعليه؛ فإنّ ما وقع مبيناً في كتاب الله أو سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم قيل عنه "تفسير"، وما استنبطه العلماء عن طريق الاجتهاد قيل عنه "تأويل"، ومن هنا جاء قولهم: "التفسير ما تعلّق بالرواية، والتأويل ما تعلّق بالدراية.

أسباب ظهور علم التفسير:

- الحرص على معرفة شرائع الدين وفهم كلام رب العالمين..بعدما تباعد الناس عن العهد الزاهر الذي بلغت فيه مرتبة البلاغة والفصاحة أوجها.
- اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا، وتلاقي ثقافات وحضارات مختلفة، أثار الحاجة إلى ظهور التفسير.
- الرغبة الملحة في إدراك بعض المعاني القرآنية، لاسيما المتعلقة بأسباب النزول، ممن لم يعيشوا أحداثها ولم يدركوا وقائعها.
- الرد على الشبه التي يبيتها أعداء الإسلام، حيث قام كثير من المفسرين بالرد على تلك الشبه وتفنيد آراء المغرضين من خلال مؤلفاتهم في علم التفسير.

نشأة علم التفسير وتطوره:

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه ، وأن يكون كتابه بلسانهم ، قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان

قومه ليبين لهم

وأُنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي مبين على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جزيرة العرب ، قال تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وكان القوم عرباً خالصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي ، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه ، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك ما يوقفه على إعجازه ، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى ، فإن أشكل عليهم لفظ أو غمض عليهم مرمى ، ولم يجدوا من يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيوضح لهم ما غمض عليهم فهمه وإدراكه ، لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بمعاني كتاب الله وإدراك أسرارهِ ومعرفة مقاصده. بل هو الذي وجه إليه الله كلامه حيث قال: (لتبين للناس ما نزل إليهم) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أين لا يظلم نفسه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . ولم يكن تفسير القرآن الكريم يدوّن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كعلم مستقل بذاته، وإنما كان يروى منه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يتعرض لتفسيره كما كان يروى عنه عليه الصلاة والسلام الحديث، وقام علماء الصحابة والتابعين يبينون للناس معاني القرآن ، ويفسرونه لهم .

واستمر الصحابة يتناقلون معاني القرآن وتفسير بعض آياته على تفاوت فيما بينهم ، لتفاوت قدرتهم على الفهم ، وتفاوت ملازمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وقد اشتهر كثير من الصحابة بتفسير القرآن منهم الخلفاء الأربعة ، وابن عباس وابن الزبير ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن مسعود ، وأبوموسى الأشعري ، وعائشة رضي الله عنهم وحين اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلدان المفتوحة يعلمون أهلها القرآن ويفسرون لهم معانية، وينشرون لهم علومه ومعارفه ومضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم على ما تقدم، ثم جاء عهد التابعين الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عنهم وكل طبقة من هؤلاء التابعين تلقت العلم على يد من كان عندها من الصحابة رضوان الله عليهم، فجمعوا منهم ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديث، وما تلقوه عنهم من تفسير للآيات وما يتعلق بها فكان علماء كل بلد يقومون بجمع ما عُرف لأئمة بلدهم .

فنشأت ما يصح أن نطلق عليها بالمعنى الحديث (مدارس التفسير) وهي كثيرة وأشهرها ثلاث مدارس:

مدرسة ابن عباس بمكة.

مدرسة أبي بن كعب بالمدينة.

مدرسة عبدالله بن مسعود بالعراق.

التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يُطلب في تفسير الآية، أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته، فكان جُلُّ تفسيره بياناً لمحمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعامٍّ، أو تقييداً

لمطلق، أو بياناً لمعنى لفظ أو نحو ذلك، ولم يكن يبيّن إلا ما تدعو الحاجة لبيانه، فالواضح من لغة العرب وأصول الحلال والحرام لا يحتاج لشرح أو بيان.

أنواع التفسير النبوي:

● العناية بسورة الفاتحة:

من أسماء السورة أم الكتاب الصلاة أم القرآن فاتحة الكتاب، السبع المثاني القرآن العظيم، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (هي أم القرآن والسبع المثاني، والقرآن العظيم).

كما وردت أحاديث في فضل السورة منها ما أخرجه البخاري وغيره من حديث سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن؟ قال: نعم (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته).

● التكرار:

وذلك عند قراءة قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهو على المنبر، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرمي) ثلاثاً، واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم التكرار ثلاثاً حتى يبلغ تبليغاً أكيداً لما فيه من الأهمية، وبين أن الغاية الكبرى من هذا الشيء هي الرمي، حتى يفهم كل ما كان قبل الغاية من مقدمات حتى يتوصل إلى هذا فتبين أن القوة تشمل ما دونها من التعبئة والإنفاق، وغيرها من السوابق والوسائل والمقدمات وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم.

ويستنبط من هذا أهمية تعلم الرماية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا يا بني أسلم فإنَّ أباكم كانراميا).

• أسلوب التشويق:

قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب رضي الله عنه: (لأعلمنك أعظم سورة في القرآن) ثم لم يعلّمه فذكره أبي بن كعب فقال: (فاتحة الكتاب أعظم سورة في القرآن).

• استخدام الرسم والخط مع البيان باللسان:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) وخط عن يمينه وشماله ثم قال: (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل)، ويستنبط منه استخدام النبي صلى الله عليه وسلم وسائل الإيضاح وذلك عن طريق رسم الخطوط، وهذا البيان يجتمع فيه السمع والبصر لترسيخ العلم.

• كان صلى الله عليه وسلم يقرن الإشارة بالعبارة:

ففي بيان شدة اقتراب الساعة كما في قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين) وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً) وشبَّك بين أصابعه.

• بيان المشكل:

أشكل على عدي بن حاتم رضي الله عنه سواد الليل وبياض النهار في قوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)، فكان يظنُّ أن الخيط الأبيض هو العقال الأبيض، والخيط الأسود هو العقال الأسود فبين

له النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الخيط الأبيض هو بياض النهار، والأسود سواد الليل، ثم استخدم معه أسلوب المداعبة بقوله: (إن وسادك إذا لعريض).

● أسلوب السؤال:

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أتدرون ما الكوثر)، في قوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر)، وقبله ابتسم صلى الله عليه وسلم، ثم بين ذلك فقال: (نهر أعطانيه الله في الجنة على حافتيه قباب من لؤلؤ).

● تصحيح الخطأ:

كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغنيه ولا يسأل الناس) فقراً (لا يسألون الناس إلحافاً) فكأنَّ المعروف عند الناس أن المسكين هو من يسأل الناس وهذا خطأ.

● من هديه صلى الله عليه وسلم أن يخصص العام:

وردت آيات في تحريم الميتة والدم كقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...) وخصَّ منها قوله صلى الله عليه وسلم: (أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدِمَانِ، المِيتَتَانِ: السمك والجراد، والدِمَانِ الكبد والطحال).

● ومن منهجه صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بالتفسير ثم يقرأ الآية:

مثل قوله: (إنَّ اللهَ ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى...)، ومنه قوله: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة....) ثم قرأ قوله تعالى: (فطرت الله التي فطر الناس عليها...).

● من منهجه الجواب بالقول والفعل:

فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المسائل الهامة في العبادات بالقول والعمل، فقد سأله أعرابي عن أوقات الصلوات فقال له: (صلَّ معنا هذين اليومين) فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليوم الأول في أوائل

أوقاتها، وفي اليوم الثاني في أواخر أوقاتها، ثم قال: (أين السائل؟؟ الوقت ما بين هذين الوقتين).

التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

ذكر صاحب الاتقان في علوم القرآن ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ القرآن فقرأ قوله تعالى ﴿فاكهة وأباً﴾ فقال هذه الفاكهة فما الأب ، ثم قال لنفسه : ان هذا هو التكلف يا عمر ، هذا يعني ان ابن الخطاب لا يعرف على وجه الدقة معنى الأب ، وابن عباس رضي الله عنه قال : ما علمت ان (فطر) بمعنى الخالق الاول ، حتى جاء اعرابي يختصم مع آخر في بئر ، كل يدعي حفرها فقال الاعرابي انا فطرتها (يعني اول من حفرها) وفي هذا المعنى فاطر السموات والارض) الاتقان ١١٣/٢ .

والصحابه - رضي الله عنهم - لما نزل قوله تعالى ﴿الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ قال يا رسول الله اينما لم يلبس إيمانه بظلم . فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه ليس الذي تعني ، لم تقرأ قول الله تعالى ﴿يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم﴾، ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك من خلال الآية ، أي ولم يلبسوا إيمانهم بشرك . وهكذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر ما أشكل على الناس من المعاني القرآنية وكان تفسيره على قدر حاجتهم ، ولأجله لم يفسر القرآن كله لعدم حاجة الناس لذلك . قال الذهبي : قال ابن قتيبة : (إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب بل ان بعضها يفضل في ذلك عن بعض) . وعندما نذكر الناس وما يشكل عليهم انما نعني بهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهم من آمن به وسار معه على نهجه . مما تقدم يتوضح أن الاصحاح انما كانوا يتعلمون التفسير لآيات الله تعالى من جناب النبي صلى الله عليه وسلم.

أ — مؤهلاتهم:

- ١ — سلامة مقصدهم وعدالتهم. ٢ — أنهم شهدوا التزليل وعرفوا أحواله. ٣ — أنهم أهل اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن، فلهم الفهم التام بلغة العرب. ٤ — معرفتهم أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود والمنافقين والمؤمنين وغيرهم. فيزولون الآيات على أحوال من نزلت فيهم. ٥ — حسن فهمهم للنصوص الشرعية.

ب — مصادرهم:

- ١ — القرآن الكريم. ٢ — السنة النبوية. ٣ — لغة العرب. ٤ — الفهم والاجتهاد. ٥ — مرويات أهل الكتاب.

ج — مميزات تفسيرهم:

- ١ — قلة الإسرائيليات ومرويات أهل الكتاب. ٢ — عدم التكلف والتعمق المذموم في التفسير. ٣ — موافقته لمعاني اللغة العربية في الألفاظ وتراكيبها في الجمل. ٤ — لم يكن تفسيرهم شاملاً لجميع القرآن، فمعظمه واضح معلوم من لغة العرب. ٥ — قلة تدوينهم للتفسير، فأغلب تفسيرهم كان بالرواية والتلقي.

ومن أشهر المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم:

١. أبوبكر الصديق. ٢. عمر بن الخطاب. ٣. عثمان بن عفان. ٤. عبد الله بن الزبير. ٥. عبد الله بن عباس. ٦. عبد الله بن مسعود. ٧. علي بن أبي طالب. ٨. أبي بن كعب. ٩. أبو موسى الأشعري.

وقد تميز التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم بما يأتي :-

١. لم يفسر القرآن جميعه، وإنما فسر بعض منه فهو على قدر الحاجة .
٢. قلة الاختلاف بين الصحابة في فهم معاني القرآن .
٣. ندرة استنباط الأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم الانتصار لمذهب .
٤. كان التفسير جزءاً من الحديث .

٥. لم يدون شيء من التفسير في هذا العصر لأن التدوين كان في القرن الثاني.

٦. خلو التفسير من الاسرائ依ليات؛ لأن كبار الصحابة كانوا المرجع فيه.

د — حكم تفسير الصحابي:

تفسير الصحابي على أقسام:

١ — ما له حكم الرفع كأسباب التزول والإخبار عن المغيبات وما لا مجال للاجتهاد فيه،

فحكمه القبول ووجوب الأخذ به إذا صحّ النقل فيه.

٢ — ما أجمع عليه الصحابة في تفسير آية ما، فكذاك يجب قبوله والأخذ به.

٣ — ما رجعوا فيه إلى اللغة، فحكمه القبول؛ لأنهم أهل اللسان العربي، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.

٤ — ما اختلفوا فيه من أقوال في تفسير آية ما، فيرجح بين أقوالهم إذا لم يمكن الجمع بينها، ويؤخذ بأحدها دون ابتداء قولٍ جديد في تفسير الآية.

٥ — ألا يرد القول إلا عن أحدهم، ولا يُعلم له مخالف، فالأخذ به أولى، لكنه ليس ملزماً، ويتقوى هذا القسم إذا حفت به قرائن القبول كأن يصدر عن أحد مشاهير الصحابة بالتفسير، أو أخذ به كبار علماء التابعين في مجال التفسير ونحو ذلك.

٦ — ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، فهذا له حكم الإسرائيليات، فإن وافق الكتاب والسنة أخذ به، وإن خالفهما رفضناه، وإن كان مسكوتاً عنه فيروى لكن لا يجب الأخذ به ولا يُصدّق أو يُكذّب.

التفسير في عهد التابعين:

بعد انقضاء المرحلة الأولى من التفسير وهي التفسير في العهد النبوي وعهد الصحابة رضي الله عنهم تبدأ المرحلة الثانية للتفسير على يد التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة رضوان الله عليهم فنقلوا غالب معلوماتهم عنهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله حتى يتسنى إيضاحه لمعاصريهم، ولقد كان جلُّ اعتمادهم في بيان ذلك على القرآن الكريم والأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وفهمهم للغة العربية، وما روي عن أهل الكتاب.

والتابعيَّ (من صحب الصحابي) كما عرّفه الخطيب البغدادي ، وعرفه الحاكم بقوله: (من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصحبه).

وعليه فلقد كانت حاجة المشتغلين بالتفسير من التابعين أن يكملوا ما احتاج إلى بيان فرادوا في التفسير بقدر الحاجة معتمدين على ما ذكرناه سابقا، وما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في نزول القرآن وعلى ما عرفوه من لغة العرب، ومن المعلوم أن الصحابة لم يستقروا جميعا في بلد واحد بل تفرقوا في الأمصار حاملين معهم ما وعوه ونقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس إليهم كثير من التابعين- في هذه الأمصار- يأخذون العلم عنهم وينقلونه لمن بعدهم فقامت في هذه الأمصار مدارس علمية على يد الصحابة تتلمذ فيها كثير من التابعين.

وأشهر هذه المدارس ثلاث- كما ذكرنا ذلك قبل-:

المدرسة المكية والمدنية والكوفية.

مدرسة التفسير بمكة المكرمة:

لقد قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ومن أشهر من تتلمذ عليه -من التابعين- سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن رباح.

مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت هذه المدرسة على يد أبي بن كعب رضي الله عنه الذي يعد أشهر من تتلمذ عليه كثير من التابعين بالمدينة رغم وجود عدد ليس بقليل من فيها من الصحابة، وذلك لكثرة ما روي عنه في التفسير، وأشهر من تتلمذ عليه زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

مدرسة التفسير بالكوفة:

قامت هذه المدرسة على يد عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- ومن أشهر تلامذته -من التابعين- علقمة بن قيس، ومسروق، وقتادة بن دعامة السدوسي، والحسن البصري.

بعض تراجم أئمة التابعين:

سعيد بن جبير:

هو سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد الأسدي الوالي مولاهم الكوفي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، ثقة ثبت فقيه، وكان من سادات التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة، توفي سنة خمس وتسعين من الهجرة.

مجاهد بن جبر:

هو مجاهد بن جبر-بفتح الجيم وسكون الباء-أبو الحجاج المكي الأسود المخزومي مولاهم، ثقة إمام في التفسير، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، له كتاب في التفسير رواه عنه شبُّ بن عباد المكي، وتوفي وهو ساجد سنة ١٠٤هـ على الأصح.

أبو العالية:

رفيع بن مهران الرِّياحي مولاهم البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، ثقة، حفظ القرآن وقرأه على أبيّ بن كعب-رضي الله عنه- له كتاب تفسير رواه عنه الربيع بن أنس، توفي سنة تسعين أو ثلاث وتسعين للهجرة.

قتادة:

أبو الخطاب قتادة بن دِعَامَة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري الضري، العلامة حافظ عصره قدوة المفسرين والمحدثين، ثقة ثبت، له تفسير رواه شيبان بن عبد الرحمن النحوي، توفي سنة سبع عشرة ومائة وقيل ثمان عشرة ومائة.

الحسن البصري:

هو أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم، كان سيد زمانه علماً وعملاً، ثقة فقيه فاضل مشهور، له كتاب في التفسير رواه عنه جماعة، توفي سنة عشر ومائة من الهجرة.

مميزات التفسير عند التابعين:

- اتسعت دائرة التفسير.
- ظهور مدارس التفسير بصورة واضحة وجليّة.

• اتساع دائرة الاختلاف في التفسير عما كان عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

• الأخذ عن أهل الكتاب وظهور الإسرائيليات.

• ظهور الخلافات المذهبية.

التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وما نقل عن الصحابة - رضوان الله عليهم - وما نقل عن التابعين.

يعد التفسير بالمأثور أول انطلاقة التفسير ظهوراً، وقد اتخذ أول عهده شكل المرويات، وتدرجت هذه المرويات في التفسير بالمأثور ابتداءً من المرويات عن النبي - عليه الصلاة والسلام - ثم تدرج إلى مرويات الصحابة - رضي الله عنهم - ما نقل عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وما نقل عنهم، ثم تدرج إلى مرويات التابعين وما نقل عنهم مسنداً إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو إلى صحابي جليل، أو إلى ما نقل عن أنفسهم اجتهاداً ورأياً.

وانتقل التفسير بالمأثور من مرحلة الرواية بطريق المشافهة، إلى مرحلة التدوين، حيث دون التفسير إلى جانب الحديث الشريف، وظهرت حركة التدوين مع بداية الهجري الثاني.

وإن لهذا التحول إلى مرحلة التدوين الأثر الكبير في حفظ المادة التفسيرية وأن التدوين قد شمل تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبعد أن كانت مادة التفسير تصاحب الحديث النبوي الشريف انفرد التفسير عن الحديث النبوي الشريف ودُوِّنَ التفسير منفصلاً.

وقد تميز تدوين مادة التفسير بأنها دونت مسندة بالأسانيد، حيث تقيدوا بالنصوص المروية عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - والصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين تورعاً، ثم جاء من بعدهم أقوام دونوا التفسير المأثور بدون أن يذكروا الأسانيد، فاختصروها وأكثر من نقل الأقوال في تفاسيرهم، مما فسح المجال لأعداء الإسلام أن يسربوا المرويات الضعيفة وغير الصحيحة واستخدموها كسلاح ضاغط وفعال في محاربة أسس الثقافة الإسلامية وحضارتها.

سمات التفسير بالمأثور:

يتمتع التفسير بالمأثور بسمات، تجعل منه صورة أصيلة عن باقي ألوان التفسير الأخرى:

- الاعتماد على تفسير القرآن الكريم كاستدلال أولي في التفسير والبيان.
 - الاختصار على المرويات المنقولة عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - والصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين في التفسير.
- فالسنة النبوية هي الركن الأول في التفسير، والصحابة - رضي الله عنهم - الركن الثاني الذين تولوا مهمة التفسير بعد الرسول - عليه الصلاة والسلام - فهم أعلم الناس بالقرآن الكريم بعد الرسول - عليه الصلاة والسلام - لأنهم شهدوا الوقائع والأحداث، وواكبوا نزول الآيات والنصوص، وعاشوا ظروفها، وأما الركن الثالث فهم التابعون الذين أخذوا التفسير عن الصحابة - رضوان الله عليهم -.

"وما نقل عن التابعين إما أن يكون مما لا مجال للاجتهاد فيه فإن رأي الثقة يؤخذ على أنه أخذه من الصحابة الكرام، وأن ما كان فيه مجال للاجتهاد والرأي، فأغلب العلماء على أنه رأي قابل للخطأ والصواب، وإنما يستأنس به استئناساً وهذا هو الرأي الراجح".

١. لا مجال للاجتهاد والرأي في التفسير بالمأثور والاكتفاء بالنص المنقول للتوضيح مع إن علماء التفسير بالمأثور لديهم المجال الرحب في التفسير والتوضيح والاجتهاد، إلا أنهم تركوا ذلك تورعاً.

قال ابن عطية: "وكان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن الكريم، ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدراكهم".

أشهر تفاسير المأثور:

يمكن لنا تقسيم هذه التفاسير إلى قسمين:

- علماء كتبوا في التفسير المنسوب إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو إلى الصحابة الكرام، أو إلى التابعين إضافة إلى الحديث الشريف ومن هؤلاء يزيد بن هارون، وشعبة بن الحجاج، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، غير أن هذه التفاسير لم يصل إليها شيء على نحو كامل.
- علماء كتبوا التفسير المنسوب إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو إلى الصحابة الكرام أو إلى التابعين منفصلاً عن الحديث الشريف ومن هؤلاء:
- محمد بن جرير الطبري، وكتابة جامع البيان في تأويل القرآن.
- أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، وكتابة الكشف والبيان عن تفسير القرآن.
- هود بن محكم الهواري، وكتابه تفسير الكتاب العزيز.
- محمد الحسين بن مسعود، وكتابة معالم التنزيل.
- إسماعيل بن عمر بن كثير، وكتابة تفسير القرآن الكريم.

منهج الشيخ العلامة هود بن محكم في تفسيره تفسير كتاب الله العزيز:

ترجمة مختصرة عن المؤلف:

اسمه، ومولده ووفاته:

هود بن محكم بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الكاف مفتوحة-المنسوب إلى الحكمة- الهواري، بفتح الهاء أو ضمها وتشديد الواو المفتوحة اسم قبيلة هوارية، من قبائل البربر، ولم تذكر كتب التراجم والتاريخ التي بين أيدينا معلومات واضحة تزيل اللبس عن معالم حياة هذا المفسر، ولم تشر المصادر إلى سنة ولادته لكن يُقدر أن يكون في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري.

أما وفاته فلم يحدده أي مصدر من المصادر، والذي يظهر أنها في كانت في العقد الثامن، أو التاسع من القرن الثالث الهجري، أي حوالي سنة ثمانين ومائتين؛ لأن كل من ذكره من المؤرخين وكتب السير يؤكد أنه من علماء الطبقة السادسة (٢٥٠هـ - ٣٠٠هـ) أي أنه توفي في أواخر الدولة الرستمية.

نشأته وحياته العلمية:

إن المصادر التي بين أيدينا لم تمدنا بكثير من الأخبار عن حياته العلمية، سواء في فترة بداية طلبه للعلم أو تصدره للتعليم، والظاهر أنه أخذ العلم عن والده بعد حفظه لكتاب الله، وأنه تفقه في مجالس العلم وحلقات الدرس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية، والمراكز العلمية المنتشرة آنذاك وهي سبتة، وتاهرت عاصمة الدولة الرستمية، والقيروان، وسلجماسة، وكانت هذه المراكز خاصة تاهرت والقيروان تشع بأنواع المعرفة عامة والعلوم الشرعية خاصة، حيث العلماء والأدباء في جميع العلوم والفنون.

ومما لا شك فيه أن هذه المراكز كانت دافعا للشيخ هود أن يشدَّ رحاله إليها طلبا للمزيد من المعرفة، وحضورا لمجالس الدرس والمناظرة، والاتصال بالعلماء، ومما يؤكد ذلك لاعتقاد بأنه زار هذه المراكز العلمية وتعلم فيها، خاصة تاهرت، أن أباه مُحَكِّمًا قد عمل قاضيا فيها زمن الإمام أفلاح بن عبد الوهاب.

وقد عاد إلى موطنه الأول، وأصبح على قدر واسع من العلم، واتسعت آفاق معرفته، واستقر في منطقة الأوراس-منطقة جبلية معروفة شرق الجزائر، يقول عنه الإمام أحمد بن سعيد الشماخي: (...ومنهم هود بن محكم الهواري، وهو عالم متفنن غائص، وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين).

منهجه في التفسير:

أشار المفسر في مقدمة تفسيره إلى العديد من قضايا علوم القرآن التي منها القراءات وفضائل القرآن وأسباب التزول والتي تُظهر بشكل واضح مدى إلمام المصنف بهذه المسائل. وتحدث في مقدمة كتابه عن شروط المفسر حيث يقول: (وإنه لا يعرف عن تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار والعربية).

ويعدُّ المفسر الشيخ هود بن محكم الهواري من المفسرين الذين اعتمدوا على التفسير بالمأثور، حيث أنه فسر القرآن بالقرآن، وبالسنة النبوية، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين، إلا أنه أكثر من ذكر الإسرائيليات.

ملاحح منهجه:

• جمع الآيات التي تتعلق بموضوع واحد والحديث عنها:

استخدم المفسر هذا الشكل في مواطن عديدة من تفسيره، ويُعتبر من أوائل من وضعوا اللبنات الأولى لبدائيات التفسير الموضوعي على اعتبار أن تفسير هود بن محكم امتداداً لتفسير يحيى بن سلام ت ٢٠٠هـ.

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: (ربن ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) قال يعني ما كان شدد به على بني إسرائيل، والإصر العهد فيما كانوا فهو عنه، وهذا دعاء، أمر الله المؤمنين أن يدعوا به، وقد وضع الله عن المؤمنين ما كان شدد على بني إسرائيل فقال: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والإنجيل) أي يجدونه مكتوباً عند أهل الكتاب في كتابهم. (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.... المفلحون) وقال: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) أي: اتبعوا ما أحل فيه، واتقوا أي ما حُرّم فيه).

• استشهاد بالآيات للدلالة اللغوية:

لقد كان المصنف يعتمد على تفسير آيات مبيناً المراد والمعنى اللغوي لهذه الآيات، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (ترميهم بحجارة من سجيل)، قال: وهي بالفارسية أولها حجر وآخرها طين، وقال في الذاريات (حجارة من طين) كان مع الطير منها ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في فيه، وكان إذا وقع الحجر منها على الأرض سقط جلده).

● توظيفه للقراءات القرآنية لبيان معنى الآية:

من ذلك بيانه عند قوله تعالى: (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) قال: وبعضهم يقرأها مُفَرِّطُونَ أي منسيون مضيعون، وبعضهم يقرأها (مَفَرِّطُونَ) يعني أنهم مفرطون كقوله تعالى: (..يا حسرتنا على ما فرطنا فيها).

● تفسير القرآن بالسنة النبوية:

تعد السنة المصدر الثاني لتفسير القرآن فهي شارحة له موضحة لأحكامه، من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: (لقد صدق الله لا تخافون) قال ذكر هشام عن أبي يحيى بن أبي كثيرة عن أبيه إبراهيم، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه حلّقوا رءوسهم يوم الحديبية إلا عثمان وأبا قتادة، فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلّقين ثلاثاً وللمقصّرين واحدة).

-يختصر سلسلة الإسناد، لا يذكر من سلسلة الإسناد إلا الصحابي، لا يذكر من سلسلة الإسناد شيئاً وإنما يقول(ذكروا)، أحيانا ينقل عن التابعي مباشرة، يذكر الحديث دون رفعه او نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

● الاعتماد على تفسير الصحابة:

لقد اعتمد كثيراً على تفسير الصحابة رضي الله عنهم وكان من بين الذين اعتمد عليهم ابن عباس، وابن مسعود، أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وكان يذكر ما أثر عنهم ويروي أقوالهم.

من ذلك استشهاده بأقوال الصحابي لبيان معنى لغوي:

ومن أمثلة ذلك ما بينه عند تفسيره لقوله تعالى: (..إن إبراهيم لأواه حليم) قال: ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: الأواه الرحيم).

ومن ذلك ما استشهد به عند قوله تعالى: (... يعلم مستقرها ومستودعها) قال: ذكر
عكرمة عن ابن عباس أنه قال: المستقر الرحم، والمستودع الصلب، يعني مستقرها في
الرحم قبل أن تخرج إلى الدنيا، ومستودعها في الصلب قبل أن تقع إلى الرحم).

الاعتماد على أقوال التابعين:

لقد اعتمد المصنف على أقوال التابعين في تفسيره للقرآن الكريم، ومن أكثر الذين اعتمد
عليهم الحسن البصري، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم.

من ذلك بيانه عند قوله تعالى: (فيهما فاكهة ونخل ورمان) قال ذكروا عن الحسن قال: (نخل
الجنة جذوعها ذهب، وسعفها حلل ورطبها مثل قلال هجر، أشد بياضا من اللبن
وأحلى من العسل وألين من الزبد).

وذكروا عن سعيد بن جبير قال: جذع نخل الجنة ذهب أحمر، وكرها زبرجد أخضر
وشماريخها در أبيض وسعفها الحلل، ورطبها أشد من بياضا من الفضة وأحلى من العسل
وألين من الزبد، ليس في شيء منه عجم، طول العذق اثنا عشر ذراعاً، منضود من أعلاه
إلى أسفله أمثال القلال، لا يؤخذ منه شيء إلا أعاده الله كما كان.

عنايته بعلوم القرآن:

المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ، فضائل القرآن، استشاده بالشعر، والإسرائيليات.

ابن جرير الطبري ومنهجه في التفسير (جامع البيان في تأويل آي القرآن):

اسمه: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد في طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، ثم استوطن بغداد، وكان فريد عصره، مجراً في شتى العلوم، قال ابن خزيمة: (ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير)، طوف الأقاليم من أشهر كتبه جامع البيان في تأويل آي القرآن، توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ.

ملامح منهجه:

- الالتزام بذكر الأسانيد، لكن بدون الحكم عليها، وعلى متونها في أغلب الأحيان.
- حشد تفسيره بكثير من الروايات الإسرائيلية وله قبيح ما رُب منها: يذكر الرواية ليبين أنها مرجوحة، يذكرها ليبين متنها وسندها، يذكرها ويسوق المتن مبيناً الراوي كوهب بن منبه، وكعب الأحبار والسدي.
- الاهتمام بإيراد القراءات، سواء كانت متواترة أم شاذة، ويؤخذ عليه نقده لبعض القراءات المتواترة كما صنع في قوله تعالى: (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) حيث قال: (..اختلفت القراء في قراءة قوله تعالى: (إن يأجوج ومأجوج) فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم (إن يأجوج ومأجوج) بغير همز على (فاعول) من (يَجَجَت ومَجَجَت) وجعلوا الألفين فيهما زائدتين غير عاصم بن أبي النجود والأعرج فإنه ذكر أنهما قرءا ذلك بالهمز فيهما جميعاً وجعلاً الهمز فيهما من أصل الكلام، وكأنهما جعلاً (يأجوج) (يفعول من أججت)، و(مأجوج) مفعول، والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا أن (يأجوج) ومأجوج) بألف بغير همز لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب).
- الاهتمام بأسباب التزول حيث يورد كل ما قيل عن سبب نزول الآية ثم يرجح.

- مناقشة المسائل الفقهية، ثم ترجيح ما يراه راجحاً.
- كان الإمام الطبري يولي التفسير اللغوي اهتماماً بالغاً، فكان يستدل بكلام العرب القدامى وأشعارهم.
- كان يعتمد في جل ترجيحاته على طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وطريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
- مناقشة المسائل النحوية، وترجيح ما يراه راجحاً من آراء النحاة.
- تقديره لإجماع الأمة، واعتباره أمراً لا ينبغي الخروج عنه بوجه من الوجوه.
- لم يتوسع الإمام الطبري في إظهار بديع القرآن ولا تجلية أساليبه البيانية، بل كان كلامه عن البلاغة يسيراً.

التفسير بالرأي-المعقول - سماته وأشهر رواته.

التفسير بالرأي هو التفسير الذي يقابل التفسير بالمأثور أو النقل، والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موافقاً لأي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود وإلا فمذموم.

"وعلى هذا فالتفسير العقلي يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومراميها من مدلولها ودلالاتها، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول أو معرفة الألفاظ العربية، ووجوده دلالتها أو وقوفه على معرفة أسباب التزول والناسخ والمنسوخ، ويتبع ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر" ..

وأمام التفسير بالرأي انقسم العلماء إلى موقفين: أحدهما بجواز التفسير بالرأي، كالإمام القرطبي، والثاني يمنع التفسير بالرأي كالإمام ابن تيمية القائل "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام". ولكل موقفة من الأدلة والبراهين التي تؤكد ما ذهب إليه من قول:

الفريق الأول: وهم المجيزون استدلوا بما يلي:

أ. المجيزون فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه، إلى:

١. الآيات القرآنية التي تحث على التفكير والتدبر لآيات القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

"وهذا يدل على أن أولي الألباب بما لهم من العقل السليم واللب الصافي، عليهم أن يتبادلوا ما لم يستأثر الله بعلمه، إذ التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله".

٢. إن الرسول عليه الصلاة والسلام- قال في دعائه: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل". فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل للفظ الترتيل، لما كان هناك فائدة لتخصيصه، فدل على أن التأويل خلاف النقل وإذن فهو التفسير بالاجتهاد والرأي.

٣. لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام.

ب. الفريق الثاني: هم المانعون استدلوا بما يلي:

١. "قالوا إن التفسير بالرأي قول على الله تعالى بغير علم، والقول على الله بغير علم منهي عنه، وأن التفسير بالرأي ليس على اليقين.... وغالبة الأمر أنه يقول بالظن، والقول بالظن قول على الله بغير علم".

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٢. ما رواه ابن عباس عن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: "اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأه فليتبوأ مقعده من النار".

٣. تخرج بعض الصحابة من القول في القرآن بأرائهم.
"سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن تفسير حرف من القرآن فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به".

الراجع من الأقوال:

قبل أن نذهب إلى أحد الأقوال، وترجيح أحدهما على الآخر، لا بد من التنويه إلى أن التفسير للقرآن الكريم يتكأ على مصادره المرتبطة به، وبدون هذه المصادر لا يمكن تفسيره، فإن كان التفسير بالرأي، "هو تفسير القرآن بدون علم، أو حسب الهوى مع الجهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، أو بحمل كتاب الله على المذاهب الفاسدة والبدع الضالة، أو الخوض فيما استأثر الله بعلمه، أو الجزم بأن المراد من كلام الله كذا وكذا من غير دليل". فهذا تفسيرٌ مذموم مرفوض منهى عنه فقد مصادره وقواعده، "وإن كان التفسير بالرأي ما كان موافقا لغرض الشارع، بعيداً عن الجهالة والضلالة، متمشياً مع قواعد اللغة العربية، معتمداً على الأمهات الأربعة التي يطلب بواسطتها التفسير". فهذا تفسير محمود مقبول غير منهى عنه، لأنه قائم على الدليل والبرهان والتدقيق، فإن كان التفسير بالرأي، هو اجتهادٌ يسعى وراء الدليل والنص من الكتاب والسنة، والصحابة واللغة، بقصد الوصول إلى الحق، والصواب فهو تفسير مقبول.

سمات المفسر بالرأي:

يتصف المفسر بالرأي بسمات وخصال تلازمه:

١. أن يكون عالماً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، واللغة والقراءات وأصول الدين، والفقه وأسباب النزول، والقصص والناسخ والمنسوخ.
 ٢. أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات، والمعاملات والسنن الواردة فيها، ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها.
 ٣. أن يحفظ أقاويل المفسرين من السلف والخلف، فإن ذلك أهدى له فيما يريد، وأدنى إلى الصواب فيه.
 ٤. أن يكون جيد القريحة ذكي الفهم قوي الفكرة.
 ٥. أن يكون مفوضاً أمره إلى الله، متضرعاً له أن يلهمه الرشد والتوفيق، وأن يحذر الإعجاب بنفسه والاتكال على عقله.
- أشهر كتب التفسير بالرأي:

١. مفاتيح الغيب. للفخر الرازي.
٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للبيضاوي.
٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. للنسفي.
٤. لباب التأويل في معاني التنزيل. للخازن.
٥. قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش (ت ١٣٣٢هـ).

الإمام فخر الدين الرازي ومنهجه في التفسير في كتابه (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير):

اسمه:

هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين التميمي، البكر الطبرستاني (ت ٦٠٦ هـ)، فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيرا من العلوم، ونبغ فيها، من مصنفاته كتابه التفسير الكبير مفاتيح الغيب، والمحصول في أصول الفقه.

ملامح منهجه:

كتب كتابه التفسير في أواخر القرن السادس، وفتش في كتب التفسير، وحاول التجديد في التفسير واهتم بما يلي:

- القراءات، عرض الرازي للقراءات المختلفة وقد يخرج المعاني على كل قراءة، وربما أعرب الآيات بحسب تلك القراءات، وقد يحتج للقراء بما قاله النحويون.
- قليل الاعتماد على الحديث في تفسيره حتى في الجدل الفقهي الذي تصدى به لأقوال الفقهاء وهو عندما يوردها لا يأتي بالأسانيد.
- الشعر كثيرا ما يستشهد بالشعر للاستدلالات اللغوية أو النحوية أو البلاغية، أو في مناسبة أدبية، وهذا ما يدل على ثقافته الواسعة في آداب اللغة العربية وتذوقه علومها.
- المناسبات وهذه المسألة لم يسبق إليها بهذا الأسلوب في محاولة لتتبع الآيات والسور.
- عرض لنا توحيد الربوبية عرضا مبتكرا، من خلال علم الفلك والنجوم والطب، وهذا الصنيع لم يسبق إليه في بيان عظمة الله من خلال الآيات الكونية.

- الاستطرد وتعريف الأقوال والإبعاد في الجدل والنقاش، فقد ملأ كتابه بأقوال الفقهاء والفلاسفة، لكن شخصيته تظهر بجلاء حين يعرض لمذهب الفلاسفة فينكشف عن علم واسع وعن عقل حصيف.

قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش-رحمه الله-(ت ١٣٣٢هـ) ومنهجه في

كتابه تيسير التفسير:

اسمه ومولده ونشأته:

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل أطفيش، ولد قطب الأئمة ١٢٣٦هـ، الموافق لسنة ١٨٢٠م، وأجمعت المصادر التي ترجمت له أن ولادته كانت في وطنه الجزائر في بلدة (يزجن) إحدى قرى وادي ميزاب (جنوب الجزائر العاصمة على بعد ٦٠٠ كلم تقريبا)، ثم انتقل به والده إلى مدينة غرداية-وهي عاصمة وادي ميزاب- فقصى بها مدة طفولته الأولى، توفي والده الذي كان محبا للعلم ومن أعيان الإصلاح في وادي ميزاب، فذاق الابن طعب اليتيم منذ السنة الرابعة من عمره، والمصادر التي تكلمت عن الشيخ لم تفصح لنا عن نشأته وتعلمه في المرحلة الأولى من حياته، ولا يذكر منها إلا أنه دخل الكتاب وهو في الخامسة من عمره، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين.

تعلّمه وشيوخه:

نهل الشيخ من منابع العلم في عصره، وتلمذ على شوامخ أعلام الأمة، وأخذ عنهم الفقه واللغة والأدب وغيرها من العلوم منهم الشيخ عمر بن سليمان، والشيخ الحاج بن سليمان بن يحيى، وقد تجرد للأخذ عن شيخه وأستاذه أخيه الشيخ إبراهيم-شقيقه

الأكبر الذي رحل إلى المشرق طالبا للعلم فدرس في عُمان، ثم رحل إلى مصر وأقام بها أربع سنين، نهل فيها من معين الأزهر ثم عاد إلى وطنه الجزائر، وانتصب للعلم والتدريس، فانقطع إليه الشيخ محمد وأخذ عنه مفاتيح العلوم الشرعية، والعربية، وعلم الكلام والمنطق والفلك والتاريخ، وإلى جوار شيخه الأول شيخه ضياء الدين بنجل الشيخ عبد العزيز الشميني(باعت النهضة العلمية وحركة التأليف في المذهب في وادي ميزاب-وهو عمدة المذهب في باب العبادات ت ١٢٢٣هـ، ١٨٠٨م)، فالشيخ ضياء يعتبر من أساتذة الشيخ محمد أطفيش، وقد دعاه الشيخ ضياء إلى بيته، وقدم له مكتبة والده قائلاً له:(هذه كتب والدي، ومؤلفاته تحت تصرفك، فخذ منها ما شئت، وفي أي وقت شئت).

وهكذا تتلمذ الشيخ على كثير من أمهات الكتب والمصادر والمراجع، وهو الذي جعله يكتفي بها بعد الأخذ من المشايخ الأجلاء، ولم يُعرف عنه أنه رحل في طلب العلم أو تنقل بين معاهد العلم خارج موطنه، ولقد رزقه الله من المهارة والبراعة ما جعل العقول تقف مبهورة معجبة بفعله، وقد جلس لنشر العلم وتعليمه حيث جلس للتدريس مع أخيه وشيخه في المدرسة، وما إن جاوز العشرين حتى أضحى أكبر عالم في وادي ميزاب.

لقد تكلمت كتب التراجم عن شخصيته التي كانت متعددة المواهب مختلفة الأبعاد، واسعة الجنات، فقد أوتي من المواهب والمزايا التي قل أن تجتمع لأحد؛ حتى أصبح إمام عصره، وقطب زمانه خاصة في المذهب الإباضي، وترمت شهرته حتى شملت العالم الإسلامي، وقد وُصف بـ(.... وذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الأقطار في مشكلاتهم، وأفاض الله عليه من مواهبه اللدنية، وأشرق في قلبه الأنوار العرفانية، وانكشف له الحقائق العلمية الخفية، وتجلت في سماء فكره الحكمة الربانية فكان قدوة السالكين).

ولقد كان الشيخ ملماً بمختلف العلوم، ومعظم من يترجمون له يصفونه بأنه مفسر، وأديب، وشاعر، ومفكر، وسياسي، وكانت حياته زاخرة بأنواع عديدة من الأنشطة، حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي، والأخلاقي، والسياسي والعلمي، والاقتصادي.

ولقد خلف الشيخ ثروة ضخمة من التراث العلمي، وكانت آراؤه لا تخرج عن الحالات التالية:

- إما تلخيص لآراء المذهب.
- وإما تحليل وتفصيل لها ولمسائلها.
- وإما أن تكون رد على أهل الخلاف ودفاع عن المذهب.

وقد عكف الشيخ على التدريس والتصنيف وخدمة الدين، وكان لا يعرف النوم إلا قليلاً وكان يقرأ ويكتب وهو على دابته مسافراً إلى البادية.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على الشيخ العلامة القطب - رحمه الله - نخبة من التلاميذ الذين تأثروا به ديناً وأخلاقاً، ومن هنا فقد نهجوا منهجه الإصلاحية في سلوكه، ومن أبرزهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف أطفيش، وهو ابن أخ الشيخ وترجمان أفكاره توفي سنة ١٩٦٥م، والشيخ عمر بكلي، والشيخ داود بن سعيد بن يوسف، والشيخ محمد بن سليمان آدرسو من بني يزجن وغيرهم كثير.

آثاره ومؤلفاته:

لقد كان للشيخ كثير التأليف غزير التصنيف، وكتابات الشيخ ومؤلفاته شاهد صدق على ذلك يقول تلميذه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش: (إنَّ المؤلِّفَ أعجز النساخ إذ بارك

الله له في علمه، فكتب ما لو قامت جمعيات بالنسخ والطبع لعجزت)، ولعل كثرت تأليف الشيخ جاءت من اشتغاله بالتدريس والتعليم فقد كان يُصنّف لطلابه وتلاميذه، حتى أنّ المترجمين قد اختلفوا في عدد مؤلفاته.

أما الفنون التي كتب فيها الشيخ فمن أهمها: التفسير والتجويد (رسالة في رواية ورش)، التوحيد، الحديث، الأصول، البلاغة (المعاني البيان البديع)، النحو، الصرف، الفقه، الفرائض، السيرة، التاريخ، الفلسفة، الفلك الطب، الفلاحة.

التفسير:

فسر الإمام محمد أطفيش ثلاث مرات وترتيب هذه التفاسير كما يلي:

هميان الزاد إلى دار المعاد، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم طبع عدة طبعات، وقد طُبِعَ الطبعة الأولى في زنجبار سنة ١٣٥٠هـ، (وعدد مجلداته حوالي ثلاثة عشر مجلداً)، وتوجد نسخة فيها خمسة عشر مجلداً طبعت ١٩٩١م دون تحقيق.

وهذا التفسير أقدم تفاسير الشيخ وأكبرها، وهو أول عمل تفسيري قام به، وكان في ريعان شبابه كما صرح بذلك في المقدمة.

تفسير داعي العمل ليوم الأمل: وهو تفسير غير كامل للقرآن الكريم، يبدأ من سورة الرحمن إلى سورة الناس، صححه الأستاذ مصطفى باجو وضبطه وصفه الباحثان الدكتور محمد بابا عمي ومصطفى شريف (وهو موجود على الشبكة العنكبوتية).

تيسير التفسير:

هذا التفسير هو آخر تفاسير الشيخ، فيه النفحة الأخيرة من أنفاسه، والومضة الأخيرة من فكره، والترعة الأخيرة من تيسيره وتسهيله، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم طبع

عدة طبعات، صدرت الطبعة الأولى منه بين سنتي ١٣٢٥هـ، ١٣٢٧هـ، وبعد أن أصبح اقتناؤه غير ميسور، قامت وزارة التراث القومي والثقافة العُمانية بإعادة طبعه.

سبب تأليفه:

ذكر الشيخ في مقدمة هذا التفسير السبب الذي دفعه إلى تصنيف التفسير فقال: (... فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفتة في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يُمل، فإن شاء الله قبله بفضله وأتمه قبل الأجل).

ملامح منهجه في كتابه تيسير التفسير:

يعتبر قطب الأئمة-رحمه الله- كغيره من جملة المفسرين الذين يعتمدون على المنقول- الأثر- ويعضده باستخدام العقل والاجتهاد بما يكون من فهم للغة العربية في نحوها وبلاغتها وأساليبها ويثبت وجهة نظره حسبما يراه في تفسير النص.

- عنايته بقضايا علوم القرآن (أول ما نزل وآخر ما نزل، أسباب النزول، المناسبة بين الآيات والسور، الناسخ والمنسوخ، التكرار وموقفه منه، القراءات القرآنية، إعجاز القرآن).
- عنايته بالجوانب اللغوية (مسائل اللغة والنحو) والبلاغية (البلاغة وفروعها).
- اهتمامه بالجوانب الفقهية (عرضه لبعض قواعد أصول الفقه، ذكر موقفه من المسائل الخلافية المذهبية).
- ذكره لمسائل الاعتقاد مع تعرضه للديانات والعقائد الأخرى.

أسباب الاختلاف في التفسير:

يقع الاختلاف بين أهل التفسير لأسباب ومقتضيات منها:

- المباحث اللغوية والبيانية.
- اختلاف القراءات وتوظيفها لبيان النص القرآني.
- الاختلاف في قبول روايات الحديث (سندا ومتنا).
- الاختلاف في المحكم والمتشبه والتأويل.
- اختلاف الاجتهادات والتفسير العقلي.
- اختلاف المذاهب الفكرية والفقهية.
- دعاوي النسخ والاختلاف فيها.

التفسير اللغوي:

بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.

و(بيان معاني القرآن) عام يشمل كل مصادر البيان في التفسير، كالقرآن والأحاديث وأسباب النزول وغيرها، أما (ما ورد في لغة العرب) فإنه قيد واصفٌ لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريقُ بيانه عن لغة العرب.

وبهذا النوع من البيان يخرج ما عده من أنواع البيان، كالبيان الكائن بأسباب النزول وقصص الآي، أو غيرها مما ليس طريق معرفته اللغة، كما يخرج بهذا القيد ما كان طريقُ بيانه بغير لغة العرب، كمن يُفسَّر بمدلولاتٍ لا تُعرف عند العرب كالمصطلحات الحادثة.

والمراد بما (ورد في لغة العرب) ألفاظُها وأساليبُها التي نزل بها القرآن وقد أشار إلى هذا الشاطبي -صاحب الموافقات- فقال: (فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي، وإنَّه لا عجمة فيه، فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب

معانيها، وأنها فيما فُطرت عليه من لسانها تُخاطبُ بالعامِّ يرادُّ به ظاهره، وبالعامِّ يرادُّ به العام في وجه والخاصُّ في وجه، وبالعام يرادُّ به الخاص، وظاهرٌ يرادُّ به غير الظاهر وكل ذلك يُعرفُ من أول الكلام أو وسطه أو آخره..).

من كتب التفسير اللغوي:

- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي اللغوي (ت ٢٠٧هـ).
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري اللغوي (ت ٢٠٧هـ).
- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة (الأخفش) النحوي البصري (ت ٢١٥هـ).

أبو زكريا الفراء وكتابه معاني القرآن:

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء، مولى بني أسد من أهل الكوفة، ولد الفراء بالكوفة سنة (١٤٤ هـ) ونشأ بها حتى ظهرت مواهبه وبرز على أقرانه فلقبوه بالفراء، لأنه كان يفري الخصوم فيما يراه بعض المؤرخين.

واختلف في سنة وفاة الفراء زماناً ومكاناً ولكن الراجح أنه توفي سنة (٢٠٧هـ) في بغداد كما ذكر الخطيب البغدادي.

كتاب معاني القرآن:

يمتاز كتاب معاني القرآن الذي وصل إلينا بأنه يهتم بدراسة القرآن الكريم من حيث التراكيب والإعراب، وحديثه الواسع عن القراءات والاحتجاج بها وتناوله (في تفسير معاني القرآن) ما أشكل من الآيات.

ملاحح منهجه:

● التفسير على ما قالته العرب:

فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [سورة الإنسان: ١٩]. فإنه قد فسر التخليد بعدم التغير، يقال أنهم على سن واحدة لا يتغيرون، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط أنه مخلص، وإذا لم تذهب أسنانه على الكبر أيضاً قيل أنه لمخلص.

● تفسير معاني القرآن بالاستدلال اللغوي:

وهو كثير في كتابه معاني القرآن، حيث يقول في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة القيامة: ١]. كان كثير من النحويين يقولون (لا) صلة، قال الفراء: ولا يبدأ بنفي ثم يجعل صلة يراد به الطرح لأن هذا لو جاز لم يعرف خبر فيه نفي، من خبر لا نفي فيه.

● الاستدلال بالشعر:

وهذا كثير أيضاً في كتابه المعاني، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤]، أي في ضياء وسعة. سمعت بعض العرب ينشد:

إِنْ تَكُ لَيْلِيًّا فَإِنِّي نَهْرٌ حتى أرى الصبح فلا أنتظرُ

فاستدل على معنى "نهر" في الآية الكريمة بمعنى "نهر" في هذا البيت الشعري. حيث أن "نهر" في البيت أراد بها الضياء.

وقد تناول الفراء في كتابه معاني القرآن الإعجاز اللفظي في القرآن وحصره بأمرين:

١. فواصل القرآن.

٢. نزول القرآن بأفصح اللغات.

مجاز القرآن لأبي عبيدة ومنهجه فيه:

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، وقد اختلفوا في مولده، والأقرب أنه ولد سنة ١١٠هـ، أخذ عن ابن عمرو بن العلاء النحو والشعر والغريب، ولازم يونس بن حبيب، وروى عن هشام بن عروة، ت سنة ٢١٠هـ.

كتاب مجاز القرآن:

يذكر المؤرخون أن سبب تأليف مجاز القرآن أن إبراهيم بن إسماعيل أحد كتّاب الفضل بن الربيع سأل أبا عبيدة عن معنى آية من القرآن فأجاب عن السؤال والتزم أن يؤلف (مجاز القرآن)، ومن هنا فسر القرآن وعمدته الأولى الفقه بالعربية وأساسها، واستعملاتها والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها، فهو يتكلم في معاني القرآن ويفسر غريبه ويعرض لإعرابه، ويشرح أوجه تعبيره.

أمثلة لغوية في كتاب مجاز القرآن:

في تفسير قوله تعالى: (ولو شاء الله لأعنتكم) قال أبو عبيدة: (معناه لأهلككم)، وحقيقته: ولو شاء الله لكلفكم ما يشد عليكم فتعنتون.

وفي قوله تعالى: (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) قال: النقيب في اللغة كالأمر والكفيل، ونحن نبين حقيقته واشتقاقه إن شاء الله.

وفي قوله تعالى: (فكذبوا فيها هم والغاون) أي في الجحيم، ومعنى (فكذبوا): طرح بعضهم على بعض، وقال أهل اللغة: معناه: هوروا وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقى ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها.

في قوله تعالى: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) قال: والمحراب: أشرف المجالس، والمقدم فيها، وقد قيل أن مساجدهم كانت تسمى المحاريب.

ملاحح منهجه:

• بيان المفردات وشواهدا:

ومن أمثلة تفسيره بالشاهد الشعري:

قال: (الصراط) الطريق، المنهاج الواضح، قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وقال: (المفلحون) كل من أصاب شيء فهو مفلح، ومصدره الفالح وهو البقاء وكل خير.

قال لبيد بن ربيعة:

نحل بلد كلها حل قبلنا ونرجوا الفالح بعد عاد وحميري

• الأساليب العربية في الخطاب:

يلحظ القارئ لكتاب المجاز كثرة بيان الأساليب العربية التي نزل بها القرآن، واستعمل

عبارة تقول العرب، والعرب تفعل ذلك، والعرب تجعل، والعرب تصنع.

• توجيه القراءات:

وهو أحد الميادين التي ولجها اللغويون لبيان ما في القراءات واختلافها من وجوه القراءات،

منذلك قوله: (وقرن في بيوتكن) القاف مكسورة لأنها من وَقَرْتَ تَقْرُ، وَزَنْتَ تَزْنُ، ومعناه

من الوقار.

التفسير الإشاري (الصوفي):

هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك مع إمكان التوفيق بينها وبين مدلول اللفظ العربي.

ويقول محمد الفاضل بن عاشور: (التفسير الصوفي الإشاري هو عبارة عن إشارات إلى دقائق تتكشف لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة).

حكمه: اختلف العلماء فيه، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه.

قال سماحة المفتي العلامة أحمد بن حمد الخليلي - حفظه الله تعالى -: (وعني جماعة من المفسرين بالتصوف، ولم يخل تفسيرهم من غلو بجانب للحق، خصوصاً عندما تحول التصوف من علم يُعنى بتربية الضمير، وتهذيب النفس والتزهد في الدنيا، والترغيب فيما عند الله إلى علم أشبه بالفلسفات العقيمة التي لا تحل مشكلة، ولا تصلح فساداً في النفس، ولا تقوم اعوجاجاً في الحياة، وقد اختلط التصوف بالآراء الباطنية كما يظهر أثر ذلك واضحاً في التفسير الذي ينسب إلى محي الدين بن عربي، وذكر العلامة السيد محمد رشيد رضا أن نسبته الصحيحة إلى القاشاني الباطني الكبير).

وقد خلط جماعة من المفسرين بين التفسير بالمأثور والتفسير الصوفي، كما نجد ذلك في (روح المعاني) للعلامة الألوسي، فبعد أن يورد أقوال السلف يتبعها بما ينسبه السادة الصوفية من رموز لا يكاد يفهم لها معنى، وكأنه يرى أن للقرآن باطنًا وظاهرًا، والقرآن الكريم كتاب أنزله الله محكمًا ليكون هدى للمتقين وذكرى للعالمين، ولن يكون كذلك إلا إذا كان بعبارات يفهمها الناس، أما أن يكون القرآن لغزاً من الألغاز المعماة التي لا تكاد تفهم، فإنه بذلك لا يكون هداية للناس كما أنزل، لذلك لا أرى وجهاً يبرز تفسير القرآن بالرموز الصوفية، ومن تأمل وصف الله لكتابه في قوله: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾

أدرك أن القرآن خال من هذه المصطلحات المعقدة التي لم تكن معهودة عند العرب)(جواهر التفسير ١/٤٧-٤٨.

شروط قبول التفسير الإشاري:

- أن لا يتنافى وما يظهر من معنى النظم القرآني.
- ألا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر.
- ألا يكون تأويلاً بعيداً كـ تفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩ بجعل كلمة (لمع) فعلاً ماضياً وكلمة (المحسنين) مفعوله.
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

من كتب التفسير الإشاري:

- تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري ت ٢٨٣هـ.
- لطائف الإشارات لعبد الكريم بن هوازن القشيري ت ٤٦٥هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لشهاب الدين محمود الألوسي ت ١٢٧٠هـ.

التفسير الإصلاحي:

ويعني ذلك بالنسبة إلى دعاة النزعة الإصلاحية أن الغرض الأول من التفسير هو تحديد علاقة المسلم بالقرآن، فهذا القرآن ليس تراثاً أو جزءاً من التراث لكنه كتاب وحي جاء لهداية الناس وبيان طريق الرشاد لهم.

وترتكز النزعة الإصلاحية المعاصرة في التفسير على:

- أنَّ الغرض من علم التفسير ليس تثقيف المسلم بعلوم الحديث واللغة والبلاغة والفقہ المقارن وقصص السابقين.
- أنَّ مقصد التزعة الإصلاحية هو تحويل الآية إلى واقع عملي بالنسبة لعامة الناس.
- أنَّ التفسير يجب أن يُستفاد منه في إحداث تغيير اجتماعي ينطلق من هدي القرآن وينعكس أثره في حياة الفرد والجماعة والأمة.

وعليه فإنَّ المراد بربط تفسير القرآن بالدعوة إلى الإصلاح يعني أولاً تصحيح العلاقة بين المسلم وبين القرآن الكريم باعتباره كتاب عقيدة، وكتاب سلوك وغيرها.. وتحديد هذه العلاقة يقوم على أساس تسهيل الوصول إلى فهم الآيات سواء تعلق الأمر بآيات الأحكام أو الآداب أو القصص أو غيرها.

يقول سماحة المفتي العلامة أحمد بن حمد الخليلي -حفظه الله-: (...بعد هذه الأطوار التي مرَّ بها التفسير جاء دور الحركة الإصلاحية التي كان يتزعمها الأستاذ الإمام محمد عبده، بعدما أرسى جذورها أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني، وقد تركت هذه الحركة آثارها بارزة في تفسير القرآن، خصوصاً بعدما قام الأستاذ الإمام يلقي دروسه التفسيرية في الأزهر الشريف، وكان تلميذه الكبير السيد محمد رشيد رضا يقوم بمهمة تدوينها ونشرها في مجلة المنار، وواصل بعد موت أستاذه تفسير ما تبقى من القرآن إلى أن انتهى إلى سورة يوسف.

وطابع التزعة الإصلاحية واضح على هذا التفسير وعلى كل التفاسير التي أنتجتها عقول تلامذة مدرسة الإصلاح التي كان على رأسها الإمام محمد عبده، وقد امتدَّ شعاع هذه المدرسة إلى آفاق واسعة في الأرض، فتأثر الكثير من العلماء الآخذين بمنهجها الإصلاحي يبدو أثر ذلك في دروسهم وتآليفهم، ومن علماء التفسير الذين نهجوا هذا المنهج الشيخ

إبراهيم بن عمر بيوض الذي ظل يفسر القرآن الكريم لأكثر من نصف قرن في مسجد القرارة في وادي ميزاب بالقطر الجزائري حتى اختتمه قبيل وفاته بقليل.

وإذا كان الاعتراف بالفضل لأهله فضيلة فإننا نعتز للمدرسة الإصلاحية بفضل السبق في معالجة المشكلات المعاصرة على ضوء القرآن، والوقوف في وجه التيارات الفكرية الوافدة من الغرب، وتفنيد مزاعم المستشرقين وتلامذتهم ضد الإسلام، ومكافحة الخرافات والأوهام التي سيطرت على عقول المسلمين آنذاك). (جواهر التفسير ١/٤٩).

بعض خصائص النزعة الإصلاحية:

- إعادة الاعتبار لأمّهات كتب العلم.
- عدم التأثير بالفكر التغريبي.
- النفور من تراث النحل والمذاهب العقديّة.
- اعتبار المذهبية الفقهيّة اختياراً علمياً قبل أن يكون تقليداً.
- البعد عن التعصب والصراع المذهبي.

التفسير الفقهي:

المقصود بالتفسير الفقهي: هو الاتجاه العام الذي يهتم باستقصاء وتفسير آيات الأحكام في القرآن، وقد عرفه أحد المعاصرين بقوله: (التفسير الفقهي هو التفسير الذي يعنى فيه بدراسة آيات الأحكام، وبيان كيفية استنباط الأحكام منها) ، وهذا التفسير بهذه الصفة يتميز بمزيد من دقة الفهم وعمق الاستنباط، ويسمح بإعمال الذهن في المناقشة والموازنة بين الآراء أكثر من غيرها مما يجعل له أهمية أكبر ويلزم الاعتناء به أكثر.

وقد كان العلم بفقه آيات الأحكام غاية حرص عليه الأئمة والفقهاء، يقول الإمام الشافعي (ت : ٢٠٤) : (فإن من أدرك أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً ، ووفقه الله

للقول والعمل لما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الريب ، ونورت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدين موضع الإمامة فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديم بها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب من شكره لها أن يرزقنا فهمًا في كتابه ثم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه ويوجب، لنا نافلة مزیده، فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها).

الاهتمام بالتصنيف في أحكام القرآن:

سعى أتباع كل مذهب فقهي من المفسرين والفقهاء إلى التأليف في أحكام القرآن وتفسيرها حسب قواعد معينة في الاستنباط ، فظهرت تفاسير لآيات الأحكام تتضمن مادة فقهية مهمة، وتجمع مسائل الخلاف ومختلف الاستنباطات والفروع ، وقد تدرج التأليف في أحكام القرآن في اتجاهين اثنين:

أولاً: اهتم بعض المفسرين بترتيب مختلف القضايا المستنبطة من فقه الآيات في مسائل مرتبة ، وهو صنيع الإمام القرطبي (ت: ٦٧١) في كتابه " الجامع لأحكام القرآن " حيث يعمد المفسر إلى الآية فيذكر ما فيها من كلام حول أسباب النزول والغريب وغير ذلك ، ثم ينتقل إلى ذكر المسائل الفقهية مرتبة ، مضمناً إياها ما بلغه من اجتهادات واستنباطات العلماء ، ثم ما استنبطه هو نفسه حسب اجتهاده ورأيه ، يقول الإمام القرطبي :)

واعترضدت من ذلك تبين أي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين ، فما زاد مسائل أبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول وتفسير الغريب والحكم ، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل).

ثانياً: سار بعض المفسرين والفقهاء على طريقة التبويب الفقهي ، وذلك بالسعي إلى ترتيب

سور القرآن مبوبة كتبويب الفقه ، وكل باب من الأبواب يُعَنون بعنوان تدرج فيه المسائل التي يتعرض لها المؤلف في ذلك الباب ، ولذلك تأتي ترجمة الباب بصيغة خبرية عامة أو تكون الصيغة مقررة لحكم ما أو سؤال معين وغير ذلك ، وممن سار على هذا النهج الإمام الجصاص الحنفي في كتابه أحكام القرآن.

المؤلفات في التفسير الفقهي:

من أهم ما كتب في التفسير الفقهي حسب المذاهب الفقية ما يلي:

على المذهب الإباضي:

- الدراية وكثر الغناية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسائة آية لأبي الحواري محمد بن الحواري.
- المرجان في أحكام القرآن لسالم بن خلفان الراشدي.

من كتب الفقه المالكي:

- أحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن سحنون القيرواني ت ٢٥٥هـ.
- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ.

من كتب الفقه الشافعي:

- أحكام القرآن للإمام الشافعي، جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي ت ٤٥٨هـ.

- أحكام القرآن لعماد الدين أبي الحسين علي بن محمد الطبري المعروف بالكنيا الهراسي ت ٥٠٤ هـ.

من كتب الفقه الحنفي:

- أحكام القرآن : لأحمد بن علي الرازي ، المشهور بالخصاص الحنفي المتوفى ٣٧٠ هـ.
- تلخيص أحكام القرآن، تهذيب أحكام القرآن : جمال الدين محمود بن مسعود المعروف بابن سراج القونوي الحنفي المتوفى ٧٧٠ هـ.

من كتب الفقه الحنبلي:

- أحكام القرآن لأبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى ٤٥٨ هـ.
- أحكام الراي في أحكام الآي لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنبلي المتوفى ٧٧٦ هـ.

التفسير العلمي:

ويُعنى به تفسير الآيات التي تتحدث عن الكون وخلق الإنسان ونحو ذلك بما توصل إليه العلم الحديث من اكتشاف، وإطلاع على حقائق لم يهتد إليها السابقون، وهذا نوع من التفسير لا يمكننا أن نغفل أثره في إظهار صدق القرآن، وإعجازه للناس، وزيادة الإيمان في قلوب المطلعين عليه، والعلماء الذين قالوا به لم يتركوا الأمر هملاً، بل وضعوا له ضوابط.

تنقسم الأنظار في قبول التفسير العلمي وعدم قبوله إلى:

أولاً: فريق يجيز التفسير العلمي للقرآن الكريم ويدعوا إليه، ويرى فيه فتحاً جديداً وتجيديداً في طرق الدعوة إلى الله وهداية الناس إلى دين الله تعالى.

وهم الكثرة فيمثلهم الإمام محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، والعلامة عبد الحميد بن باديس الجزائري، والشيخ محمد أبو زهرة، ومحدث المغرب أحمد بن صديق الغماري، وغيرهم.

وهؤلاء الذين يثبتون التفسير العلمي للقرآن الكريم يضعون له حدوداً، والتي منها:

- ضرورة التقييد بما تدل عليه اللغة العربية، فلا بد أن تراعى معاني المفردات

كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، مع مراعاة القواعد النحوية ودلالاتها، والقواعد البلاغية (خاصة قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية).

- البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي.

- أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل، فما وافقها قبل وما عارضها رفض.

- أن لا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص.

ثانياً: فريق لا يجيز ذلك ويرى هذا اللون من التفسير خروجاً بالقرآن الكريم عن الهدف الذي أنزل من أجله، وإقحاماً له في مجال غير متروك للعقل البشري، يجرب فيه، ويصيب ويخطئ.

ويمثلهم في هذا العصر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمد شلتوت -رحمه الله-

والأستاذ سيد قطب -رحمه الله-، والدكتور محمد حسين الذهبي -رحمه الله-.

وممن فُجّ التفسير العلمي للقرآن الكريم الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٩٤٠م) الذي كان يؤمن بأن القرآن الكريم لا يفسر إلا بالعلم الحديث فألف تفسيره (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) مزج فيه الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وأمل من تفسيره هذا أن يشرح الله به قلوبا ويهدي به أُمماً وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين فيفهموا العلوم الكونية.